الشعر السياسي:

شعر الخوارج نموذجا

يتفق الدارسون على أن الأغراض الشعرية التي طَرَقَها الشعراء الخوارج، من فَخْر، و مديح، وهِجاء، ورِثاء... أحالوها إلى معانٍ تدور في إطار عقيدتهم الخارجية، و تَتَمحْوَرُ حولها بحيث يصعب معه التمييز في شعرهم بين غرض و آخر.
و أهم المعاني التي ترددت في شعت الخوارج و شاعت، هي:

أ. الزهد:

حيث نلاحظ أن مظاهره تطغى على أشعارهم، و يتجلى ذلك في الاستهانة بالدنيا، و الإعراض عن كل طموح فيها، و الرفض المطلق لمَتاع الحياة و مَلَذّاتها، و استعجال الموت والرغبة في الاستشهاد في سبيل الله أثناء نشوب المعارك. و قد كانت هذه الرغبة هي الحافز القوي الذي يجعل كلَّ خارجيٍّ يُهَوِّن من شأن الحياة غَيْر آسف على فوات ما تَعْرِضُه من مطامع.

ب. البُطولة و الشجاعة:

لقد كان الهدف الأسمى الذي يُلِحُّ الخارجَيُّ على بلوغه في الحياة هو الاستشهاد وَسَط المعركة، لأنه لم يُخْلَق إلا للموت، و لا يَعْمَل إلا من أجلها. م لهذا، ذاعت معاني البطولة و الحماسة في أشعار الخوارج، و تردّدت فيه الدعوة إلى الجهاد، مُسْتَنْهِضاً الهِمَم، و مُعَزِّزاً الثقة بالنفس لحَمْلِ الخوارج على الاندفاع في مواجهة الكفَّارالطُّغاة ـ وهُمُ الذين لا يدينون بمذهبهم ـ و حَثِّهِم على الثَّبات عند اِحْتِدام الحرب، و الاستماتة في الدفاع. عن عقائدهم الدينية المذهبية.
و مما لا شك فيه أن معاني البطولة و الشجاعة التي أشاد بها شعراء الخوارج في أشعارهم، تَرْجِع أساسا إلى الالتزام بمذهبهم، و إلى عُمق إيمانهم بعقائده؛ و ذلك ما دَعَاهم إلى التَّشْديد على الاستهانة بالموت و الرغبة في الاستشهاد.

ج. الرثاء:

يختلف رَثاء الخوارج اختلافاً بَيِّناً عمّا نَعْهَدُه في قصائد الرثاء التي كانت تَقُومُ على التَّفَجُّع على الميِّت و ذِكْر مَنَاقِبِه، ذلك أن شعراء الخوارج كانوا يَرْثُون قَتْلاهُم باعتبارهم القُدوة في التَّقوى و الوَرَع، و الإخلاص للدِّين، و الزُّهد في الدُّنيا و والإعراض عن الطموح فيها؛ و باعتبارهم أيضا لقُدوة في

الشجاعة و الجرأة، و اقتحام غِمار الحروب، و السَّعْي إلى الموت طَلَباً للاستشهاد و طَمَعاً في مَرْضاة الله تعالى و حُسْن ثَوابه.
و الظَّاهِرُ أن شعراء الخوارج كانوا يَرْثون المِثالَ النَّموذجيَّ "لِلْخارِجِيِّ" الذي ينبغي أن يُحْتَذَى بِهِ، من حيث إن "القتيل الشهيد" هو التَجْسِيد الحيّ لِقِيم الإسلامِ ومبادئ المذهب الخارجي.

خصائص شعر الخوارج:

يتميّز شعر الخوارج بِعِدَّة خصائص، نذكر منها:

1ـ أنَّ مُعْظَمَ شُعَرائه من المُقِلِّين و المغمورين، و لَيْسوا من المَشْهورين ذوي النَّفس الطويل في إبداع الشعر.

2ـ أنَّ المقطوعات و القصائد القصيرة هي الغالبة عليه.

3ـ أنَّه تَسُودُه ـ لا سيما حين يَعْرِض لمَظاهر الزُّهد ـ روحٌ إسلامية واضحةٌ استمدُّوها من النصوص القرآنية الكريمة خَاصَّة، فَاقْتَبَسوا كثيرا منها مُسْتَلْهِمِينَ القِيمَ و المقاصدَ التي تشتمل عليها. و من ذلك قَوْلُ "عِمْرَان بْنِ حِطَّان" : [ديوان الخوارج:ص84][1]

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ المُخَوَّلَ[2] ذَا الثَّرْ = وَةِ خُلَّانُه و لَا وَلَدُه
ثُمَّ يُؤْتى بِهِ و خَصْمَاهُ وَسْطَ الجِنِّ و الإِنْسِ رِجْلُهُ و يَدُه.

و معنى البيتين مُقْتَبَس من قوله تعالى :"يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ و لا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيم."[3] و من قوله عز و جلّ :"يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِم أَلْسِنَتُهم و أَيْدِيهِم و أَرْجُلُهُم بِمَا كَانوا يَعْمَلون"[4].

4ـ أنّه يُمَثِّل الالتزامَ التّامَّ بالمذهبِ الخارجيِّ، إذْ اقْتَصَرَ على خِدْمةِ عقائده الدّينية ومبادئه السّياسية. فصار بمُخْتَلَفِ موضوعاته الفَنِّية شِعرا سياسيا ـ دينيا خالصاً. و من المُؤكّد أنّ هاته الخَاصية تُعْتبر سِمَةً بارزة امتاز بها شعر الخوارج عن باقي أشعار الفِرَق الأخرى.

---

[1] ديوان الخوارج: جَمْع و تحقيق "الدكتور نَايف مَعْرُوف"
[2] المُخَوَّل: المُمَلَّك للمال و المُتَعَهِّد له.
[3] سورة الشعراء: الآية 88
[4] سورة النور:الآية 24

الشعر السياسي.
نماذج من شعر الخوارج

أ- الزهد:

1- يقول "عطية بن سمرة اللّيثي": [ديوان الخوارج: ص104]

وحسبي من الدّنيا دِلاصٌ(1) حصينةٌ = ومِغفرُها(2) يومًا وصدرُ قناةٍ(3)...
فأبلغ منه حاجتي وبصيرتي = وأشفي نفسي من ولاةٍ طغاةٍ.

2- يقول "عمران بن حطّان": [ديوان الخوارج: ص193]

مارغبةُ النّفسِ في الحياةِ وإنْ = عاشتْ قليلاً فالموتُ لاحقُها.
وأيقنتْ أنّها تعودُ كما = كانَ بَرْؤُها(4) بالأمسِ خالقُها.
وأنّ ما جمّعتْ وأعجبَها = من عيشِها مرّةً مغادرُها.

3- يقول "طريح بن الفجاءة": [ديوان الخوارج: ص176]

إلى كمْ تغازيني السّيوفُ ولا أرى = مغازاتِها تدعو إليّ حِماميا(5).
ولو قرّبَ الموتَ القِراعُ(6) لقد أنى(7) = لموتي أن يدنو لطولِ قراعيا.

ب- الشجاعة والبطولة:

1- يقول "معاذ بن جوين الطّائي": [ديوان الخوارج: ص197]

ألا أيّها الشّارون فدْعانَ لامرئٍ = شرى نفسَهُ للّهِ أن يتزحّلا.
أقمتُمْ بدارِ الخاطئينَ جهالةً = وكلُّ امرئٍ منكمْ يُصادُ ليُقتلا.
فشدّوا على القومِ العُداةِ فإنّها = لقاماتُكمْ للذّبحِ، رأيًا مضلّلا.
ألا فاقصدوا يا قومِ للغايةِ(8) التي = إذا ذُكرتْ كانتْ أبرّ وأعدلا.

2- يقول "أبو بلال مرداس بن أدية": [ديوان الخوارج: ص193]

فلمّا إذا جمّتْ(9) جموعُ عدوّنا = وجاؤوا إلينا مثلَ طامية(10) البحرِ.
ذكفْنا إذا جاشتْ إلينا بُحورُهمْ = ولا بمهابيبِ(11) نصيدُ عنِ البشرِ(12).
ولكنّنا نلقى القنا بنحورِنا = وبالهامِ نلقى كلَّ أبيضَ ذي أثرِ(13).
إذا جشأتْ(14) نفسُ الجبانِ وهلّلتْ(15) = صبرنا، ولو كانَ القيامُ على الجمرِ.

الشرح: 1- دِلاص: دروع لينة. 2- المِغفر: الزّرد يُلبس تحت الخوذة. 3- صدر قناة: أي الرّمح المستوي.
4- براها: خلقها من العدم. 5- الحِمام: الموت. 6- القِراع: التّضارب بالسيوف أو الرّماح.
7- أنى: حان الوقت وقرب. 8- الغاية: المقصود بها الاستشهاد في ساحة المعركة.
9- جمّتْ: كثرتْ. 10- طامية البحر: البحر المتلئ المرتفع لشدة هيجانه.
11- مهابيب: مفردها: مهبّاب وهو الهائج. 12- البشر: السّيوف القواطع.
13- الأبيض: السّيف. 14- الأثر: أثر الجرح. 15- جشأتْ: اضطربتْ من الفزع.
16- هلّلتْ: جبنتْ وفرّتْ.

Scanned with CamScanner

ج - الرثاء:

1- يقول "عمران بن حطان" في رثاء "أبي بلال مرداس بن أدية": [ديوان الخوارج: ص 188-189]

لَقَدْ زَادَ الحَيَاةَ إِلَيَّ بُغْضًا = وَحُبًّا لِلْخُرُوجِ أَبُو بِلَالِ..
أُهَاذِرُ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي = وَأَرْجُو المَوْتَ تَحْتَ ذُرَى(1) العَوَالِي(2)
وَلَوْ أَنِّي عَلِمْتُ بِأَنَّ حَتْفِي(3) = كَحَتْفِ أَبِي بِلَالٍ لَمْ أُبَالِ.
فَمَنْ يَكُ هَمُّهُ الدُّنْيَا فَإِنِّي = لَهَا، وَاللَّهِ رَبِّ البَيْتِ، قَالِي(4)

2- يقول "عمرو بن الحصين" في رثاء "أبي حمزة" وغيره من الشراة: [ديوان الخوارج: ص 141-143]

يَا رَبِّ أَسْلِكْنِي سَبِيلَهُمُ = - ذَا العَرْشِ - وَاشْدُدْ بِالتُّقَى أَزْرِي(5)...
كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ قَدْ فُجِعْتَ بِهِ = قَوَّامِ لَيْلَتِهِ إِلَى الفَجْرِ..
تَرَاكِ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ إِذَا = رَغِبَ النُّفُوسُ دَعَتْ إِلَى النَّذْرِ(6)..
وَالمُصْطَلِي بِالحَرْبِ يُسْعِرُهَا(8) = بِغُبَارِهَا وَبِفِتْيَةٍ سُعُرِ(9)..
لَا شَيْءَ يَلْقَاهُ أَسَرَّ لَهُ = مِنْ طَعْنَةٍ فِي ثُغْرَةِ النَّحْرِ

الشرح:
1- الذُّرَى: جمع ذِرْوَة، وذِرْوَة كل شيء: أعلاه.
2- العَوَالِي: الرِّمَاح.
3- حَتْفِي: مَوْتِي.
4- قَالِي: كَارِهٌ لَهُ.
5- الأَزْر: القُوَّة.
6- النَّذْر: أي وجوب الخضوع لتلك الرَّغبات، والطَّاعة لأهواء النفس.
8- يُسْعِرُهَا: يوقِدُ نارَ الحرب، فتشتدُّ حِدَّتها.
7- المُصْطَلِي بالحرب: الذي قاسى شِدَّتها - وهو وَصْفٌ لجَزَعِه وصَبْرِه.
9- سُعُر: جمع أَسْعَر، وهو القليل اللحم الظاهر العَصَب.

Scanned with CamScanner